

تعريف بالباحثة

الاسم: ولاء نافذ شحادة

مواليد: السعودية 1993/4/10

المؤهلات العلمية: - بكالوريوس لغة عربية معلم ثانوي/ جامعة الأزهر- غزة بمعدل 83.42 بتقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف الثانية

- ماجستير اللغة العربية وآدابها- الأدب والنقد/ جامعة القدس المفتوحة- غزة بمعدل 91.3 بتقدير امتياز

خبرات سابقة: معلمة مرحلة إعدادية لمدة أربع سنوات متتاليات

بنية الشخصية في رواية عاشق من جنين للكاتب رأفت خليل حمدونة

ملخص البحث:

خساً السجن أن يأسر الروح كما أسر الجسد، يبقى قلم الأسير يفيض مدادا قوامه جملة من المشاعر والمواقف المتضاربة حيناً والمتمائلة حيناً آخر، تتعانق الحروف وتتوحد الكلمات؛ لتعكس واقع التجربة الاعتقالية وظروفها الحياتية، فضلا عن أثرها المرحلي والمستقبلي على حياة الأسير.

تتناول هذه الدراسة موضوعاً في أدب السجن تحت عنوان " بنية الشخصية في رواية عاشق من جنين " لكتبتها الأسير المحرر(رأفت حمدونة)، حيث كتبها أثناء فترة اعتقاله في سجن نفحة، ترصد هذه الدراسة

الشخصيات الفلسطينية التي بنى بواسطتها الروائي أحداثه، ونسجها في إطار الزمكانية، فمن الشخصية المقاومة إلى المطاردة إلى الأسيرة إلى المحررة إلى المقاومة مرة أخرى، فأخذت الدراسة تُسلط الضوء على البناء الفكري والاجتماعي والنفسي واللغوي لتلك الشخصيات على اختلاف ظروفها ومستوياتها، ومدى وعيها وإدراكها لواقعها المحيط، ويعود سبب اختيار الدراسة، إلى أن أدب السجون يشكّل رافداً مهماً من النتاج الأدبي العربي بشكل عام والنتاج الأدبي الفلسطيني بشكل خاص جداً، فهو نتاج لا يمكن إقصاؤه ولا تهميشه لأي سبب كان، وتهدف هذه الدراسة، إلى إبراز القيم الفنية والجمالية والفكرية لأدب السجون، حيث قوة اللغة، وصدق العاطفة، وواقعية التجربة، وتنبع أهمية الدراسة، من أن أدب السجون يوجه رسالة توعوية وتحريضية تدفع بأبناء شعبه للهبة الجماهير التي تفك قيد الأسير وتحطم قيود أغلاله.

والمنهج المتبع في هذه الدراسة، المنهج الوصفي التحليلي، حيث تتبعت الباحثة الشخصيات الروائية ووقفت على خصائصهم الفكرية والاجتماعية والنفسية واللغوية، وما ترمي إليه من دلالات وأبعاد تثري العمل الأدبي وتكمل قصديّة رسالته.

وفي الخاتمة، تم التوصل إلى نتائج أهمها: أن أدب السجون لا يمثّل تجربة أسير بعينه، بل يمثّل تجربة كل معتقل فلسطيني عانى مرارة السجن والسجان، فالألم واحد والمقصد واحد.

أولاً- بين يدي الرواية

تسرد هذه الرواية واقع الشعب الفلسطيني بظروفه التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية، وإن كانت كُتبت على عجل وسرعة إلا أنها غطت تلك الظروف والمواقف، وعرضتها بتسلسل منطقي ومشوق للقارئ، فمن العنوان "عاشق من جنين" نفهم أن البناء الفني للرواية قائم على شخصية البطل، تلك الشخصية التي نشأت حاقدة على المحتل، ومفطورة على حب الوطن والتضحية من أجله وزرع ذلك في نفوس أبنائها وأحفادها، وفي ربط زمني يؤكد فيه الروائي على صلة الماضي بالحاضر لصنع المستقبل، عبر شخصية الجد العاشق والمناضل وشخصية الحفيد الذي ورث النضال والمقاومة عن جده واستمر في ذلك لصنع واقع فلسطيني متحرر ومشرق، افتتح الروائي أحداثه بالحديث عن شخصية تاريخية مجاهدة وهي شخصية الشهيد عز الدين القسام والحديث عن مشهد مقاومته في جنين واستشهاده في أحرّاش يعبد وكيف أن لهذه الشخصية الأثر الأكبر في نفس البطل (الجد خليل)، وكانت بمثابة دفعة قوية له لأن يخطو على نهجه في النضال والثورة، فبعد أن هاجر خليل من أرضه الناصرة إثر نكبة عام (1948م) إلى جنين، ظل متعلقاً ومشدوداً إلى أرضه، ومن خلال حفيده أراد أن يحقق حلم العودة، فبعد أن زوّج خليل أبنائه وأنجب ابنه حسن ولدا قامت الجدة أم حسن بتسميته خليل، على اسم جده، فكان هذا الحفيد هو الأقرب لقلب جده، وعندما شب خليل وقوي عوده شرع الجد يغرس في عقله أفكار الثورة والنضال وكان الأخير يستجيب لذلك، وتتوالى الأحداث وتتسارع

إلى أن يقع خليل الحفيد في أسيرا في سجون الاحتلال الصهيوني هو وصاحبه(محمود) ويتعرضا كباقي الأسرى إلى أشنع وسائل التعذيب والإهانة، ويتم الحكم عليهما مدة سبع سنوات، ولم تقف معاناة الأسير خليل عند السجان فقط، بل تعدت إلى خطيبته(ليلي) التي أبت أن تصبر على قدرها وقدر خطيبها وأن تنتظر لحظة الإفراج عنه، بل طلبت الطلاق والانفصال وما كان على خليل إلا أن يستجيب لها، وتنقد الرواية بعض من جوانب المجتمع الفلسطيني السلبية والتي من أهمها إهمال قضية الأسرى، وإهمال المجتمع لحقوقهم، وإهمال الأسير بعد خروجه أيضا من الأسر والتعامل معه على أنه جسم ملغوم بأي وقت يكاد ينفجر، فبعد خروج(خليل) من الأسر رفضت بعض الأسر تزويجه فتياتهم بحجج واهية، إلا أن صديقه محمود قبل بتزويجه أخته، وتنقد أيضا الذين تربعوا على السلم الاجتماعي دون تقديمهم لأدنى تضحية أو فداء، إضافة إلى قلب المعيار الذي يُقاس به حجم الإنسان فحلّ المال والجاه والسلطان محل الدين والأدب والأخلاق، ولم ينسَ الروائي في هذه الرواية عرض صور التكافل والتعاقد الفلسطيني داخل مجتمعهم فهذا(تضال) الذي استشهد والده ومرضت أمه بعد سنوات شقاء وعناء كابدها في تربية أبنائها شرعت العائلات الفلسطينية بالتبرع لها لإنقاذ حياتها، وكما بدأت الرواية في جنين انتهت أيضا في جنين، فبعد انتفاضة الأقصى الأولى واجتياح مخيم جنين أسرع الأسير المحرر خليل وصديقه محمود لليبيا نداء الوطن، فنزلا إلى ساحة القتال واستشهد (محمود) وظل (خليل) مواصلا على درب النضال والثورة، ففلسطين بكل مدنها تحتاج إلى شخصية الجد والحفيد لنيل الحرية والاستقلال وأن طريق العودة هو التضحية والفداء وليس الاتفاقيات والمعاهدات.

ثانيا- بنية الشخصية في رواية عاشق من جنين

تعتبر دراسة بنية الشخصية الروائية من أهم الدراسات التي تهدف إلى إضاءة عالم الرواية عبر المستويات التي تعبر عن أنماط حياتها النفسية والاجتماعية والفكرية والسياسية، فالروائي يلتقط شخصياته من الواقع، ويعيد صياغتها وبناءها وفق متصوره الذهني أي عبر خياله، ويضيف عليها رؤاه وأفكاره مستعينا بأدواته النقدية، فالكاتب " يمتلك تصورا معيناً يجسده من خلال شخصيات واقعية مستقدمة في النص الإبداعي"¹. سأعتمد في تحليل بنية الشخصيات الروائية على التقسيم الرئيس والشائع وهو على حسب علاقة الشخصية بالحدث الروائي وهو: الشخصيات الرئيسة والشخصيات الثانوية، حيث تباينت أشكال الشخصيات حسب الدور الوظيفي المسند إليها، وحسب علاقتها مع الأحداث الجارية، وحسب التشكيل الفني لملاحمها تبعا للسياقات الواردة فيها.

الشخصيات الرئيسة: شخصية الجد خليل (أبوحسن) وشخصية الحفيد (خليل بن حسن).

¹ سلامة، محمد علي، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، ص18

الشخصيات الثانوية: عائشة (أم حسن)، حسن، الشيخ حافظ، الجار أبو إبراهيم، أبو سامي، نضال، الرفيق محمود، ليلي خطيبة خليل، المحقق في السجن، العصافير، الأسرى داخل السجن، سهام زوجة خليل، الأحفاد. وقبل أن أخوض في تحليل بنية الشخصية سأشير سريعا إلى مفهوم الشخصية الرئيسية والشخصية الثانوية، فالشخصية الرئيسية هي "التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما، ولكنها الشخصية المحورية، وقد يكون هناك منافس لهذه الشخصية"¹، ويتم بناء هذه الشخصية عن طريق مجموعة من الوسائط الحسية والمرئية أو غير المرئية تخضع لنوع من المداولة بين الوضع المتحرك للشخصية (الصور السردية) وبين وضعها الساكن (الصور الوصفية) بصفة أساسية² أما الشخصية الثانوية والتي لها دورها الفعّال والمميز في تصعيد الحدث، والدفع به إلى الأمام ولها دورها في صناعة الحبكة الروائية، إضافة إلى أنها تأتي مضيئة وشارحة ومفسرة للشخصية الرئيسية، ومؤثرة في سلوكها وكاشفة عن أبعادها، فهي "الشخصية المساندة التي تعطي للعمل الروائي حيويته ونكهته، وقدرته على إبلاغ رسالته، وإن تجذير الصورة الدرامية داخل العمل الروائي لا يتم إلا من خلال تحريك الشخصيات الثانوية التي تعطي للصراع ذروته ومعناه"³

أولاً- البناء النفسي

انصبت الدراسات والبحوث النفسية على دراسة الشخصية الروائية في جانبين أو مستويين، فالمستوى الأول: هو المستوى الظاهري – الخارجي- أي تأثر الشخصية بواقعها المحيط هو الذي يتحكم بتصرفاتها كون أنه يؤثر فيها باطنيا، وهذا تصوّر يبقى بعيدا إلى حد ما لو قابلناه بالمستوى الثاني: والذي يركز مباشرة على المستوى الباطني – العميق- للشخصية أي عالمها الاختزالي الذي "يتضمن الأفكار والدوافع والانفعالات والميول والاتجاهات والقدرات والظواهر المتشابهة وكل الموضوعات التي لها علاقة بطبيعة الشخصية، أصلها وتطورها أو تغييرها"⁴.

شخصية الجد خليل (أبو حسن):

¹ المحاسنة، شرحيل إبراهيم أحمد، بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز الروائية دراسة في ضوء المناهج الحديثة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة، إشراف محمد الشوايكة، جامعة مؤتة، الأردن، 2007، ص214
² بدري، عثمان، بناء الشخصية بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سنة1986م، بيروت، لبنان، ص11

³ حمودي، باسم عبد الحميد، مدخل إلى الشخصية الثانوية في الرواية العراقية، الأعلام: ع6، 1988، ص42
⁴ ريتشارد، س. لازروس، الشخصية، ترجمة سيد محمد غنيم، محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط4، 1993، ص26

تعتبر شخصية الجد هي الشخصية الرئيسية الأولى في الرواية تلك التي مثلت الجانب الإيجابي المتحرك، فكانت المدعمة لكل حدث صاعد في الرواية، فنلمح من خلال القراءة أن شخصية الجد ذات انتماء وطني عالٍ، امتزجت فيها الأخلاق الدينية والاجتماعية، وكان السبب الأول والمباشر وراء تعلقه بوطنه وقوة دفاعه عنه، وحرصه على غرس ذلك في نفوس أبنائه هو تأثيره بمقولة والده عبر مداعبته له " تذكرني بدخول البريطاني إلى القدس يا خليل"¹، فتلك المقولة على الرغم من أنها عبارة عن مازحة من الأب لابنه، إلا أنها شكلت لدى الشخصية حقدا دفيناً على المحتل البريطاني، ذلك الحقد الذي سعت الشخصية على امتداد السرد لأن تفرغه من ذاتها، فترجمت هذا الحقد الباطن في سلوكياتها الظاهرة، فيقول السارد " كان خليل يتأثر بهذه المقولة، رغم أنه يدرك أنها ليست من قلب أبيه، فتربى وهو يكره البريطاني الذي ألصق فيه هذا التشاؤم، وحينما أصبح يافعا قويا كان يسمع من الناس أن هناك شيخ جليل اسمه عز الدين القسام يخطب في مسجد الاستقلال على مسافة بعيدة من منزله"²، فلازمت الشخصية المسجد واستمعت لخطب الشيخ وانبهرت لنصائحه الوطنية، واقتنعت بأهمية اقتناء السلاح، مما زادها رغبة في الانتقام من الجنود البريطانيين، فراح يراقبهم ويتحين الفرصة لاقتناص أحدهم، في متنفس لتحقيق رغبته المكبوتة وتفريغ لانفعالاته الدفينة، واستمر ذلك الوضع إلى أن وجد ضحية وضعها نصب عينيه، فيقول السارد " أيام كثيرة كانت تمر عليه وهو يراقب حركة الجنود البريطانيين، وأخيرا حدد هدفه لجندي اعتاد أن يرتاد إحدى الخانات في المدينة، فشرب الخمر حتى الثمالة، ثم يعود للبنائة العسكرية التي كان يقطنها، في ساعة متأخرة من الليل حينها عزم ان ينتقم، وفي إحدى الليالي استلّ سكينه وانتظر ثم اقترب من الجندي وطعنه في الصدر، فصرخ طالبا النجدة فانتبه له احد الجنود الذي أطلق النار باتجاه خليل الذي اختطف ببندقية الجندي وهرب"³، ورغم تلك الحادثة إلا أنه لم يشف غليله بعد، وظل هذا الحقد مسيطرا عليه ودفعه لتأسيس أحداث لاحقه في الرواية" فالبعد النفسي والكثافة السيكولوجية هي التي تمنح الأهمية الأولى للشخصية أكثر من الحدث لأنها هي التي تصنعه وتحركه، وصنع الحدث وتحريكه يقودان إلى التعرف إلى دوافع الشخصية وكثافتها السيكولوجية"⁴، فيقول الروائي " تمنى أبو حسن لو أن أحد من أبنائه يحمل هم ثورته وتاريخ هجرته ومعاناته"⁵، وحقق تلك الأمنية في حفيده(خليل) وأسس لحدث سنراه لاحقا في السرد، فيقول الروائي " عاد محمود إلى بيته وبقي خليل عند جده الذي أدخله

¹ عاشق من جنين، ص 1

² المصدر السابق، ص 1

³ عاشق من جنين، ص 1

⁴ المحاسنة، شرح خليل إبراهيم أحمد، بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز الروائية دراسة في ضوء المناهج الحديثة، ص 91

⁵ عاشق من جنين، ص 3

في غرفة مغلقة، وأخرج له البندقية التي يرى فيها رمز بطولته، فقدمها هديه لحفيده خليل وأوصاه بها، ولكنه استوقفه وقال: يا خليل هذه البندقية لا تكفي، وتبقى ناقصة إذا لم يكملها هذا، فأخرج له مصحفا وأشار إليه¹. واستمر السارد في عرض الأحداث بشكل تسلسلي ومتتابع، إلى أن وقعت النكبة، ورحل خليل كغيره من الفلسطينيين الذين رحلوا قسرا وأقاموا في مخيمات اللجوء والشتات، مما شكل ذلك اهتزاز واضطراب في بنية الشخصية النفسية التي باتت قلقة من مجهول لم يكشف بعد، وظل حلم العودة يلاحقها، فأصبحت الشخصية في صراع بين الزمن الحاضر والزمن الماضي، فيقول السارد "كانت أعظم مصيبة على أبي حسن، يوم أن رحل من أرضه عنوة إلى جنين، كما رحل غيره من مدن وقرى فلسطين للضفة الغربية وقطاع غزة وخارج الوطن، حينها شعر بما أحل به وبأهله بسبب التخاذل، لم تغف عيون أبي حسن منذ هجرته حتى يحلم بالعودة لبلده وبيته ومسقط رأسه وذكريات الطفولة"²، وكنوع من إقامة التوازن النفسي والاستقرار وتعويض للأرض التي رحلوا عنها، فعلى نمطها أنشأ أبو حسن بيته في جنين، فيقول السارد "أجمل ما في بيت الجد كانت الحاكورة المزروعة بالخضار والتي فيها مكان لتربية الطيور والماشية، وفرن من الطين، وتزينها أشجار الفواكه، وعلى طرف الحاكورة عريشة من جريد النخيل وزير مليء بالماء البارد الصافي العذب"³.

شخصية الحفيد خليل:

تعدُّ شخصية الحفيد خليل ثاني الشخصيات الرئيسية في هذه الرواية، فكانت الأكثر بروزا من بين كل الشخصيات، إذ سيطرت على معظم أحداث الرواية، فنهضت بصياغة الأحداث، وانطلق الروائي من خلالها ليمثل واقع الإنسان الفلسطيني الذي تربي على حب الوطن وغرست في روحه قيم الجهاد والدفاع عنه، فمن الشخصية المحبة والعاشقة إلى المقاومة إلى الأسيرة إلى المحررة إلى الأسييرة مرة أخرى إلى المحررة إلى المقاومة أخيرا، فكانت تلك الأحداث بمثابة حلقة دائرية فكرتها أن المقاومة وحدها طريق الحرية والاستقلال، وتحقيق حلم العودة، ومن خلال شخصية خليل عرض الروائي لمعاناة الأسرى في سجون الاحتلال الصهيوني، والتي تتوزع بين التعذيب النفسي والتعذيب الجسدي، فيقول السارد "أنكر خليل كل الاتهامات الموجه إليه، فأحاله إلى مسلخ التحقيق، انتقل خليل من مرحلة إلى مرحلة أخرى وذاق كل أنواع التعذيب، الضرب الوحشي والشبح والهز وصب الماء البارد على رأسه، والحروق بالسجائر والامتناع عن الحمام، والتهديد بهدم البيت واعتقال والده والصراخ والشتم بألفاظ سيئة وبذيئة، ومع هذا لم ينكسر ولم تضعف عزيمته وإرادة التحدي

¹ المصدر السابق، ص5

² المصدر السابق، ص2

³ المصدر السابق، ص4

فيه¹، فعبر تلك الطرق والأساليب كان يعتمد المحتل لإضعاف نفسية الأسيرة وهدمها، ولم تقف معاناة الأسرى النفسية عند الأسير وحده بل تطال أهله وذويه فيقول السارد " كان أبو حسن يعتصر ألماً على حبيبه خليل، الذي لم ينسه لحظة واحدة، ولم يقطع من الزيارات التي كان يقول له فيها، اصبر يا جدي فالسجن لا يبني على رجال، كان خليل يطمئن جده ويوصيه بخطيبته ليلي"². ثم ينتقل الروائي ليسلط الضوء على ما تعانيه شخصية الأسير من قلق ومعاناة وتوتر واضطراب، واصطدام بالواقع الراهن الذي فرض عليها من حرمان من الأهل والأحبة والرفاق والزوجة وأصناف الطعام والشراب وحرية القول والفعل، وكل ما يندرج من متاع الدنيا، فظلت نفسيته معذبة ومتألمة تنتظر معانقة الحرية كعناق الريح للنار، فعبر تيار التذکر والتداعي والمناجاة النفسية يصف الروائي حالة التوتر والقلق التي اعترت الشخصية في سجنها، فيقول السارد " أشد ما كان يقلق خليل في سجنه هو مصيره مع ليلي، كان يتذكر لحظة عقد قرانه وكلمات القاضي التي ردها ويوم أن وضع الجد أبو حسن مهرها في يد والدها، ويتذكر الشبكة التي انتقتها بنفسها، والصور التي التقطها واحتفظ بها، ويتساءل ما هي واجباتي المادية والمعنوية اتجاهها؟ هل تستطيع زيارتي قبل اعتمادها زوجتي في البطاقة الشخصية؟ هل يحق لي تعليقها دون أن تختار هذا الطريق الذي اخترته بنفسه؟"³، فكل هذه التساؤلات تعبر عن حالة نفسية مشتتة وقلقة ومضطربة، تعترىها الهواجس وتشعرها بالضعف رغم صلابتها وقوتها، فكانت تقضي الشخصية طيلة ليلها بحثاً عن إجابات لعلها تداوي جرح قلبها، وبما أن المكان يعكس على الشخصية والعكس صحيح ذهب الروائي إلى الكشف عن " الحركة النفسية الوجدانية في صناعة الحدث"⁴، فبعد أن تمت محاكمة خليل وصديقه محمود، بدأت الشخصية تجبر نفسها على التعايش مع المكان، وأن تنشأ بينها وبينه علاقة تصالح وتعايش رغم انغلاقه وضيقه وعجزه، ليس استسلاماً أو رضوخاً للسجن والسجان بل كنوع من الاستقرار النفسي، فأخذ الروائي يعرض الجانب الإيجابي من السجن، كنوع من التصالح الذاتي مع المكاني، فيقول الروائي " وجد خليل في السجن مدارس وجامعات، فالأمر سرعان ما يتعلم القراءة والكتابة ويتحول إلى مثقف يحب المطالعة، والمتعلم يتوسع في دراسته، فيدرس اللغات ويحفظ القرآن ويطالع في شتى العلوم والأبحاث، ويتخصص في مجالات يميل إليها، فوجد الجلسات التنظيمية والحركية والفكرية والاهتمامات الأدبية والثقافية داخل الغرف وساحة السجن، وشهد الكثير من الحوارات والنقاشات والتحليل السياسية،

¹ عاشق من جنين، ص 10

² المصدر السابق، ص 11

³ المصدر السابق، ص

⁴ جودي، محمد، شعرية الشخصية والمكان الروائي في عائد إلى حيفا لغسان كنفاني من البنية إلى الدلالة، رسالة لنيل درجة الماجستير، إشراف عبد الحق بلعابد، جامعة الجزائر، 2011-2012، ص 198

والاهتمام بالقضية الفلسطينية والهموم العربية والإسلامية والتطورات الدولية. تشرف خليل بالانتساب لهذه الشريحة المخصصة والشريفة من أبناء شعبه"¹.

شخصية ليلى:

وهي أكثر الشخصيات الثانوية التي ركز عليها الروائي في روايته، وحملها برسالة قصدية يهدف من خلالها إلى إعادة تشكيل الوعي لدى المرأة الفلسطينية تلك المعروفة بقوة تحملها وصبرها وتاريخها النضالي المشرق، فعليها ألا تقبل بأي صورة من صور الإغراءات والامتيازات والمناصب الزائفة، لكن شخصية ليلى حطمت صورة المرأة الفلسطينية الثابتة، وخرجت عن قاعدتها النمطية، فبعد أن أسر خطيبها(خليل) عاهدته على الانتظار والتواصل ودوام المراسلة والزيارة، ولكن سرعان ما انقلب هذا الموقف إلى نقيضه، فالشخصية الروائية بشكل عام تتميز بكونها" ذات محتوى سيكولوجي خصب ومعقد معاً، فهي تحبل بالتوترات والانفعالات النفسية التي تغذيها دوافع داخلية نلمس أثرها فيما تمارسه من سلوك وتقوم به من أفعال من جانب آخر، فهي تعاني من تناقضات في تركيبها النفسي تؤدي بها إلى الاستسلام للنزوات والانقياد للطلبات الدفينة"²، يقول السارد" سأل خليل والدته عن ليلى فقالت له: خطيبتك تغيرت يا بني، فهي الآن تعمل في إحدى المؤسسات وخلعت المحبس وغير قلقة عليك أو مهتمة بك. لم يصدق خليل هذه الأخبار. وسألها: وماذا تعمل في هذه المؤسسة؟ قالت أمه: في البداية كانت موظفة عادية، ومن ثم أصبحت سكرتيرة للمدير"³، فهذه صورة ليلى الجديدة وما كان هذا التصرف إلا نابعا عن نفسية تريد أن تعوض ما فاتها بسبب اعتقال خطيبها، وأن الاضطراب الذي أصابها وأودى بها لكل هذه التغيرات في سلوكها ناتج عن رغبات دفينة كانت تريد أن تحققها، ونتيجة الأسر لم تحقق منها شيئاً، فانقلبت الشخصية لنقيضها وغيرت موقفها بالكامل، وطلبت الطلاق والانفصال عن خليل وتم ذلك.

ثانياً- البناء الفكري

تتمثل الشخصية الروائية من "مجموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها"⁴، ويعتبر المستوى الفكري من أهم المستويات التي يعتني الروائي بها عند بناء شخصياتها، وذلك "لأن الشخصية عتبة معرفية للاطلاع على البنى الفكرية المتجاوزة في الوسط الإنساني"⁵.

¹ عاشق من جنين، ص14

² بحرأوي، حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990، ص302

³ عاشق من جنين، ص16

⁴ زيتوني، لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1، 2002، ص114

⁵ سعودي، آمال، حدائق السرود والبناء في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج، رسالة ماجستير، إشراف فتحي بوخالفة، قسم

اللغة العربية وآدابها، جامعة المسيلة، 2008، ص138

الجد خليل: جاءت شخصية الجد خليل حاملة للفكر الفلسطيني المقاوم، ومحافظة على تراث المجتمع وعاداته وتقاليده، فظلت بنمطيتها التقليدية الثابتة حتى مع مرور الزمان، فعلى طول امتداد السرد كانت تسعى تلك الشخصية لغرس فكرة أن المقاومة والنضال طريق التحرير، وهذا الطريق لا يأتي إلا باقتناء السلاح بصحبة القرآن، يقول السارد "تمنى أبو حسن لو أن أحدا من أبنائه يحمل هم ثورته وتاريخ هجرته ومعاناته، إلا أن حسنا لم يشبه أباه، فكان يميل إلى المزاح والتعاطي مع الظروف والعيش في هذه الحياة على ما هو عليه، ففي الوقت الذي كان فيه أبوه يلعن ويبصق ويحلق ويلق على نشرات الأخبار، كان حسن يقبل الموقف إلى مسرحية ويغلب على حياته الاستهتار"¹، فيعرض الروائي تضارب الموقف الفكري بين الأب وابنه الذي يشكل كل منهما زمنا احتلاليا، فالأب من زمن الانتداب البريطاني، والابن من زمن المحتل الصهيوني، فالأب حامل للفكر الوطني والثوري ومعاناة الهجرة واللجوء، والابن غير مبالٍ، وفي هذا التناقض مستوى أبعد من لغة النص المكتوبة، تلك اللغة العميقة والباطنة التي تنشي بحالة الخنوع والاستسلام التي سيطرت على الفكر الفلسطيني والعربي بعد عامي النكبة والنكسة، فمثل الروائي تلك الحالة عبر شخصية الابن، وجاء بشخصية الحفيد(خليل) التي جعلها رمزا للمستقبل القادم المشرق، والمبشر بالنصر والحرية، وامتدادا لفكر الجد المقاوم عمد الروائي على غرس هذا الفكر في الحفيد، فيقول الروائي "عاد محمود إلى بيته وبقي خليل عند جده الذي أدخله في غرفة مغلقة، وأخرج له البندقية التي يرى فيها رمز بطولته، فقدمها هديه لحفيده خليل وأوصاه بها، ولكنه استوقفه وقال: يا خليل هذه البندقية لا تكفي، وتبقى ناقصة إذا لم يكملها هذا، فأخرج له مصحفا وأشار إليه"²، ولم يكتفِ الروائي بتمثيل الفكر المقاوم والفكر الواعي فقط في شخصية الجد، فانتقل إلى باقي شخصياته ليعرض أفكارهما تجاه الجهود الدولية التي تسعى لعقد مؤتمر للسلام، فنرى ذلك في المشهد الحوارية "ذهب خليل لبيت جده فوجده مع أصحابه في حديقة (حاكورة) المنزل، كان الجميع ينصت لنشرة الأخبار التي تحدثت عن جهود دولية لتحقيق السلام وعقد مؤتمر دولي يضم زعماء المنطقة. وفور انتهاء نشرة الأخبار، بدأت جلسة التحليل كالعادة، سأل أحدهم: هل يمكن تحقيق السلام؟ رد أبو حسن: عندما يجد الأعور عينه وعندما يزهر الملح. رد الآخر: ولكن هذه المرة يجري الحديث عن دول عظمى وأمم متحدة. فقاطعه الشيخ حافظ: وما هو الفرق بينهما؟ فهي نفسها التي زرعت اليهود في أرضنا، وهي التي حمته ومدته بالمال، وأتساءل: كم قرار من الأمم المتحدة يطالب دولة اليهود بالانسحاب دون جدوى! وعندها ارتاح أبو حسن من كلام الشيخ حافظ وقال: يسلم فمك يا شيخ والله العرب يستاهلون أكثر من ذلك؛ لأنهم سلموا رقابهم وأموالهم ومصائرهم

¹ عاشق من جنين، ص 3

² المصدر السابق، ص5

للغرب، ولأنهم تركوا دينهم، واستجدوا عدوهم"¹، إن إجابة أبي حسن ليست بغريبة أو جديدة، فهو على وعي كبير بما يجري من مشاهد على الساحة السياسية، ورد الطرف الآخر عرض فيها الروائي للشخصية المسطحة فكريا تلك التي تتخدع كسرعة البرق بالاتفاقيات الواهية والزائفة، أما الشيخ حافظ فكانت عنده الإجابة اليقين والقاطعة والتي مفادها أن العرب هم غطاء اليهود في أي مكان. فأراد الروائي من خلال مقطعه الحوارية أن يوصل للقارئ فكرة التخلص من الوهم تحت ستار السلام، وأن السلام لا يحقق بالاتفاقيات والبنود والمعاهدات. ومع استمرار البناء الفكري للشخصيات، يذهب الروائي إلى السجن؛ ليعرض ثقافة الأسرى الفكرية وأنهم رغم ضيق السجن وعمته إلا أنه شكل امتدادا لتطویر ثقافتهم وأفكارهم، فيقول الروائي "مجالات يميل إليها، فوجد الجلسات التنظيمية والحركية والفكرية والاهتمامات الأدبية والثقافية داخل الغرف وساحة السجن، وشهد الكثير من الحوارات والنقاشات والتحليل السياسية، والاهتمام بالقضية الفلسطينية والهموم العربية والإسلامية والتطورات الدولية. تشرف خليل بالانتساب لهذه الشريحة المخلصة والشريفة من أبناء شعبه"²، ففي هذا المقطع النصي تصحيح للصورة التي يتخذها البعض عن الأسرى أنهم ناقصو الفكر والثقافة والمعرفة، فهم صنعوا من دجى ليلهم وقيدهم نهارهم فجر علم يتسامى طيلة فترة اعتقالهم.

ثالثاً- البناء الاجتماعي

لا تنفصل الشخصية عن واقعها المحيط فهي دائمة الحركة والتفاعل فيه، و" لا يمكن تصوير الواقع الاجتماعي في الرواية إلا من خلال شخصياتها، ومن خلال قدرة الروائي على توجيه هذه الشخصيات بطريقة فنية بارعة، فلا يدع القارئ يشعر بأن الروائي هو الذي يحرك الشخص، بل يجعل القارئ يتوهم أن هذه الشخصيات مخلوقات إنسانية حية تعيش وتموت كحياة أي إنسان في الواقع"³، ويركز هذا البناء على "نتائج التفاعل الاجتماعي الذي تنغمس فيه الشخصية في العلاقات المتبادلة بين أفرادها ولا تكتمل دراستها ومعرفة طبيعتها إلا بدراسة المجتمع والثقافة معا؛ لأن المجتمع هو الوعاء الذي يحوي الشخصية ويتم فيه التفاعل بين الشخصية والمجتمع، والثقافة هي التي تسهم في بناء الشخصية وزيادة وعيها بهذا المجتمع"⁴.

أبرز الروائي عبر شخصياته أسمى وأبهى صور التكافل والنخوة والكرامة، فهذا (نضال) الذي جاء يعرض حاجته على الجد(خليل)، فأمه يأكلها المرض شيئا فشيئا وهو لا يملك نفقات علاجها وما أن علم الناس بهذا الأمر شرعوا يجمعون التبرعات، يقول السارد" تأثر الحضور من أصحاب الحاج بالحوار الذي دار بين الحاج

¹ عاشق من جنين، ص6

² المصدر السابق، ص14

³ المحاسنة، شرح خليل إبراهيم أحمد، بنية الشخصية في أعمال مؤسس الرزاز الروائية دراسة في ضوء المناهج الحديثة، ص77

⁴ المرجع السابق، ص69

ونضال. قال الشيخ حافظ: منذ اللحظة سوف أزور أصحابي من خطباء المساجد للدعوة للتبرع في الصناديق بعد صلاة الجمعة لإنقاذ حياة هذه السيدة من خطر المرض والموت. وتلاه أبو إبراهيم: ومن ناحيتي سأقدم مبلغاً من المال كنت انوي التبرع به لإحدى المؤسسات الإنسانية التي ترعى اليتامى والمسنين كصدقة جارية. وقال أبو حسن: أما أنا فأملك كبشين ليس لهما مكان عندي في الحاكورة. في صباح الجمعة باع الحاج أبو حسن كبشيه وتبرع أبو إبراهيم بالمبلغ وفي نهاية اليوم أتى الشيخ حافظ بحصيلة صناديق التبرعات من المساجد، وإذا بالحصيلة تزيد عن حاجة العلاج لأم نضال¹.

شخصية محمود: شخصية قوية و متماسكة، وهي شريكة خليل في النضال والاعتقال، برز دور محمود الاجتماعي بعد ما أتاه خليل منزحاً وبتنابه القلق والضيق من النظرة الاجتماعية السلبية تجاه الأسير في قضية رفض المجتمع تزويج فتياتهم من الأسرى، وما كان من الرفيق إلا أن يساند رفيقه ويعرض عليه الزواج من أخته (سهام)، فيقول السارد "ابتسم محمود في وجه صديقه وقال: إذا نحن خطبناك يا خليل فهل تقبل بنا؟ فجاباً خليل من عرض صديقه ولم يصدق ما سمع وتلثم في الكلام وقال: هل تعني ما تقوله يا محمود؟ - نعم وأعيد وأؤكد. - فقال وبمن؟ - بأختي سهام التي فتحت لك الباب عند حضورك"². فبين الروائي عدم انسجام الشخصية مع واقعها الذي تعيشه نظراً للنظرة الخاطئة التي كونها المجتمع عن الأسير، وهدف عبر نصه لإعادة تشكيل الوعي لدى المجتمع تجاه الأسير وظروفه.

رابعاً- البناء اللغوي

تعتبر اللغة أداة تعبيرية مهمة للكشف عن قدرة الروائي وبراعته في بناء شخصياتها، عبرت الشخصيات عن كل ما فيها بلغة فصيحة سهلة ذات كلمات مأنوسة مستمدة من الواقع الاجتماعي، فاختر الروائي الألفاظ من المعجم اللغوي البسيط والسلس والمباشر، وعلى لسان شخصية أبي الحسن كان يعمد إلى تفصيح المثل الشعبي مثل: "يسلم فمك يا شيخ" و " لا يحك جلدك إلا ظفرك"، و نادراً جداً ما لجأ إلى العامية وذلك في قول الجدة أم حسن "شيلوني تقع".

¹ عاشق من جنين، ص13

² المصدر السابق، ص21

نتائج البحث

- جسّد الروائي معاناة الإنسان الفلسطيني العام وصراعه المرير مع المحتل بكل أبعاده، وأشكاله، ومراحله.
- جسّد الروائي التجربة الاعتقالية فعكس واقع المعتقلين بأبعاده النفسية والاجتماعية والفكرية.
- عززت الرواية بعض جوانب المجتمع الإيجابية، ونقدت بعض جوانب المجتمع السلبية.
- كشفت الرواية عن بعض الصعوبات التي يواجهها الأسير من قبل مجتمعه بعد خروجه من المعتقل.
- نجح الروائي في رسم شخصياته فأنتت فاعلة ومتحركة ودافعه بالحدث إلى الأمام ومؤثرة فيه.
- بنى الروائي روايته على شخصيات متضاربة ومتناقضة فيما بينها مستخدماً تقنية المفارقة عبر الثنائيات الضدية (النضال/ الاستسلام)، و(التضحية/ الأنانية)، و(الغنى/ الفقر)، (المحافظة/ التجديد).
- رفض الروائي انسلاخ شخصياته الرئيسية عن تراثها وعاداتها وتقاليدها، فعلى الرغم من قصر الرواية إلا أنه استطاع أن يمسك بالتغير الاجتماعي الحاصل عبر ثنائية الأب والابن.
- أكدت الروائي في جميع شخصياته على أهمية الثورة والنضال ومقاومة المحتل بشتى الطرق والأساليب، وأن فجر الحرية قادم لا محالة مهما طال الزمن.

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر

1- حمدونة، رأفت خليل، عاشق من جنين، ط-2، 2005م

ثانياً- المراجع

1. بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990
2. بدري، عثمان، بناء الشخصية بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سنة1986م، بيروت، لبنان
3. جودي، محمد، شعرية الشخصية والمكان الروائي في عائد إلى حيفا لغسان كنفاني من البنية إلى الدلالة، رسالة لنيل درجة الماجستير، إشراف عبد الحق بلعابد، جامعة الجزائر، 2011-2012
4. حمودي، باسم عبد الحميد، مدخل إلى الشخصية الثانوية في الرواية العراقية، الأقاليم: ع6، 1988
5. ريتشارد، س. لازروس، الشخصية، ترجمة سيد محمد غنيم، محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط4، 1993
6. زيتوني، لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، ناشرون، ط1، 2002
7. سعودي، أمال، حداثه السرد والبناء في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج، رسالة ماجستير، إشراف فتحي بوخالفة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة المسيلة، 2008
8. سلامة، محمد علي، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ
9. المحاسنة، شرحبيل إبراهيم أحمد، بنية الشخصية في أعمال مؤنس الرزاز الروائية دراسة في ضوء المناهج الحديثة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة، إشراف محمد الشوابكة، جامعة مؤتة، الأردن، 2007